مشكلة البحث في البحث التربوي

يُعَدّ اختيار وتحديد مشكلة البحث الخطوة الأولى والأساسية في تطبيق المنهج العلمي. وقبل الخوض في هذه الخطوة، من المهم التنبيه إلى أن البحث العلمي لا يسير دائمًا وفق تسلسل خطي بسيط كما تعرضه الكتب الدراسية، رغم أهمية هذا العرض في تسهيل التعلم. فالواقع العملي للبحث التربوي يكشف أن البحث عملية ديناميكية قائمة على **التجريب، والمراجعة، وإعادة الصياغة**.

عند محاولة تحديد مشكلة بحثية، يواجه الباحث أفكارًا قد تبدو واضحة ذهنيًا لكنها غير دقيقة عند صياغتها كتابة، وأخرى تحتاج إلى تعديل أو إعادة تفكير متكرر. وتمثل القدرة على التعامل مع هذه الصعوبات والتغلب عليها مؤشرًا حقيقيًا على الفهم العميق لطبيعة البحث العلمي.

تُعد مشكلة البحث المحور الذي يمنح الدراسة تركيزها وبنيتها، فهي الخيط الناظم الذي يربط بين الإطار النظري، والأسئلة، والمنهج، والأدوات، والنتائج. وعندما تكون المشكلة واسعة أو معقدة في بدايتها، يصبح من الضروري تضييقها حتى تصبح قابلة للإدارة والتنفيذ. فالصياغة الدقيقة للمشكلة تجعل الدراسة أكثر وضوحًا وإمكانًا للإنجاز.

ولهذا، ينبغي أن يختار الباحث مشكلة بحثية ترتبط بتخصصه الأكاديمي وتثير اهتمامه الشخصي، لأنه سيقضي وقتًا طويلًا في دراستها وتحليلها.

تحديد مشكلة البحث

اعتاد المتعلمون طوال مسيرتهم الدراسية على حل المشكلات، وتُعد مهارة حل المشكلات من أهم مخرجات التعليم. غير أن البحث العلمي يفرض تحديًا مختلفًا، إذ لا يُطلب من الباحث حل المشكلة مباشرة، بل **اكتشافها وتحديدها أولًا**.

ويُعد تحديد المشكلة البحثية من أصعب مراحل البحث العلمي، حيث يعاني كثير من طلبة الدراسات العليا من القلق عند البحث عن مشكلة مناسبة لرسائلهم وأطروحاتهم. وتتمثل الخطوة الأولى في اختيار مجال عام ذي صلة بالتخصص الأكاديمي ومثير للاهتمام، لأن هذا الاهتمام يسهم في الحفاظ على الدافعية والتركيز طوال فترة البحث.

مصادر مشكلات البحث

تنشأ مشكلات البحث التربوي عادة من عدة مصادر رئيسية، من أهمها:

1. **النظريات العلمية:**
تُعتبر أكثر المشكلات البحثية قيمةً تلك المنبثقة من **النظريات العلمية**، لأنها توفر إطارًا منظمًا للتحليل. مثلًا، تُعدّ نظرية بياجيه حول النمو المعرفي للأطفال مصدرًا غنيًا للأسئلة المتعلقة

بالعوامل التي تؤثر في تطور التفكير. مثل هذه البحوث تساعد على **اختبار وتطوير النظريات التربوية**.

2. **الخبرات الشخصية:**

غالبًا ما تظهر المشكلات البحثية من **تجاربنا اليومية** وملاحظاتنا الصفية، عندما نتساءل مثلًا: "لماذا يحدث هذا؟" أو "ماذا لو جربنا طريقة أخرى؟". وتُعدّ هذه التساؤلات أساسًا لما يُعرف بـ **البحث الإجرائي** الهادف إلى تحسين الممارسات التعليمية

مثال :دراسة أثر قانون "كل طالب ينجح (ESSA) "على أساليب التدريس.

3. **الدراسات التي يمكن تكرارها.**

يمكن للباحثين إعادة تنفيذ دراسات سابقة **باستخدام عينات أو بيئات مختلفة** للتحقق من النتائج أو توسيعها، مما يساهم في **تراكم المعرفة العلمية**.

مثال :إعادة دراسة حول تأثير استخدام الحواسيب في الصف على التحصيل الدراسي.

4. **البحث في المكتبات:**

تُعدّ المكتبات ومصادر المعلومات الأكاديمية أدوات مهمة **بعد تحديد المشكلة**، حيث تساعد في وضعها ضمن الإطار النظري، ومراجعة ما توصّل إليه الباحثون سابقًا، وتحديد أنسب المنهجيات للدراسة.

5. **المصادر الرقمية الحديثة**

في العصر الرقمي، أصبحت وسائل مثل القوائم البريدية الإلكترونية، والمدونات العلمية، ووسائل التواصل الأكاديمي مصادر إضافية لتبادل الأفكار، والحصول على تغذية راجعة، ومتابعة المستجدات البحثية.

تضييق مشكلة البحث(Narrowing the Problem)

تتطلب معظم البحوث الكمية وبعض البحوث النوعية تضييق المشكلة العامة وتحويلها إلى مشكلة محددة وقابلة للبحث. فالمشكلات الواسعة تؤدي إلى:

- اتساع غير مبرر لمراجعة الأدبيات،
- صعوبة تنظيم الدراسة،
- ضعف القدرة على تفسير النتائج.

أما المشكلة المحددة، فتنتج دراسة مركزة وواضحة.

الفرق بين البحث الكمي والنوعي

- في **البحث الكمي** :تُحدَّد المشكلة بدقة منذ البداية.
- في **البحث النوعي** :تبدأ المشكلة عامة ثم تضيق تدريجيًا مع التفاعل الميداني.

ويُحذَّر من التضييق المفرط الذي يُفقد المشكلة قيمتها العلمية.

خصائص المشكلة البحثية الجيدة

تتسم المشكلة البحثية الجيدة بما يلي:

1. **ذات قيمة وأهمية** :يجب أن تكون المشكلة ذات معنى، ومجزية على الصعيدين المهني والأكاديمي، وقد تؤدي إلى النشر ورضا شخصي.
2. **مشوقة ومحفزة** :العمل على مشكلة مثيرة للاهتمام يساعد الباحث على الحفاظ على الدافعية طوال عملية البحث.
3. **قابلة للبحث** :يجب أن تكون المشكلة قابلة للتحقيق من خلال جمع البيانات وتحليلها. القضايا الفلسفية أو الأخلاقية التي لا يمكن دراستها تجريبيًا ليست مناسبة، رغم أنه يمكن إعادة صياغة بعض القضايا غير القابلة للبحث لتصبح قابلة للدراسة.
4. **ذات أهمية نظرية أو عملية** :يجب أن تسهم المشكلة في تحسين أو فهم النظرية أو الممارسة التعليمية.
5. **أخلاقية** :يجب أن يتجنب البحث إيذاء المشاركين، سواء من الناحية الجسدية أو النفسية.
6. **قابلة للإدارة / ممكنة التنفيذ** :يمكن تحقيقها باستخدام مهارات الباحث، والموارد المتاحة، والوقت، والمشاركين، وأدوات القياس.

صياغة المشكلة البحثية وأسئلة البحث

بعد اختيار المشكلة وتضييقها، يُصاغ **بيان مشكلة** واضح يحدد طبيعة المشكلة وأهميتها وحدودها.

1. في **البحوث الكمية** :تُصاغ المشكلة بدقة لقياس العلاقات بين المتغيرات وتقييم التأثيرات. أمثلة: دراسة العلاقة بين سن دخول المدرسة وفهم القراءة، أو تأثير الزي المدرسي الإلزامي على تقدير الذات. هذه الأسئلة محددة وقابلة للقياس.
2. في **البحوث النوعية** :تُصاغ المشكلة بعبارات عامة في البداية، ثم تتبلور تدريجيًا : . تركز على وصف الظواهر وفهم كيفية تفاعل الأفراد مع سياقهم. أمثلة: كيف يشارك الأطفال في تعلم الرياضيات أو كيف يدرك أعضاء المنظمة التغيير ويتعاملون معه. تستكشف هذه الأسئلة العمليات والاستراتيجيات والتجارب بعمق.

وتُشتق **أسئلة البحث** مباشرة من المشكلة، حيث توجه عملية جمع البيانات وتصميم الأدوات.